الجامعة: تكريت

الكلية: التربية للبنات

القسم: علوم القرآن والتربية الإسلامية

المادة: البلاغة القرآنية

المرحلة: الثانية

عنوان المحاضرة: المدارس البلاغية

اسم التدريسي: م.م خوله عزيز رشيد

الإيميل الجامعي: Khawlah.azeez٥١٩@st.tu.edu.iq

المدارس البلاغية

كانت العوامل المؤثرة في البلاغة كثيره منها الأدبية ومنها الكلامية، وقد أدى هذا الاختلاف في المؤثرات الى أن تتجه البلاغة اتجاهين اطلق عليهما اسم المدرسة الكلامية والمدرسة الأدبية، وأمر هذين الاتجاهين أو المدرستين قديم، وقد نبّه عليه البلاغيون قديماً، وعليه تقسّم المدارس البلاغية على النحو الآتي:

أولاً: المدرسة الكلامية

كان للفلسفة وعلم الكلام أثرٌ في الفكر العربي والإسلامي ولم يسلم علمٌ من العلوم من الأثر الفلسفي والكلامي، وكان للبلاغة نصيبٌ عظيمٌ من ذلك الأثر، فتوثقت الصلة منذ عهدٍ مبكرٍ بينها وبين المنطق والفلسفة، وأخذت هذه الصلة تزداد قرناً بعد قرن، حتى بلغت أوجها في القرن السادس للهجرة وما بعدها، وقد انعكس ذلك في الدرس البلاغي، فكانت خصائص المدرسة الكلامية تتمثّل في أنّها:

١- اهتمت بالتحديد الدقيق والتقسيم العقلي.

٢- جعل التعريف جامعاً مانعاً.

٣- استعمال أساليب المتكلمين في بحث الموضوعات وحصرها.

٤- الإكثار من الألفاظ الفلسفية والمنطقية.

٥- ساق البلاغيون كثيراً من المقولات عند القول في الملكة حين وردت في تعريف الفصاحة والبلاغة، وما صدروا به البيان من بحوث الدلالات الوضعية والعقلية.

٦- أدخلوا في البلاغة والفصاحة بعض مسائل الفلسفة والطبيعة والإلهية والخلقية، كالكلام في الألوان والروائح والحواس الإنسانية ومقرها، والوهم والخيال والفكرة والحسّ المشترك، والأسباب والمسببات وغيرها.

٧- أدخلوا في البلاغة والفصاحة من الألفاظ الفلسفية والكلامية الشيء الكثير، ممّا لا صلة له بالبحث البلاغي، الذي يعتمد أول ما يعتمد على الذوق السليم.

٨- الإقلال من الأمثلة الأدبية في شواهد هذه المدرسة؛ لأن رجالها اهتموا بالتحديد المنطقي والحصر والتقصير، فكانوا يذكرون لكلِّ قاعدةٍ شاهداً واحداً، أو مثالاً قصيراً، وليتهم وقفوا عند ذلك، فهم كثيراً ما يذكرون أمثلةً لا جمال فيها؛ لأن صحه الشاهد عندهم أصل كل شيء، أمّا جماله وما يبعث في النفس من إحساسٍ أو شعورٍ فني فلم يوجهوا عنايتهم إليه، ولعل اهتمام المتأخرين منهم بالاختصار وتلخيص الكتب المتقدمة كان سبب الإقلال من الأمثلة والشواهد، والاكتفاء بأقلها وأقصرها، وبما ينسجم مع أذواقهم التي سيطرت عليها النزعة العقلية.

وشاعت المدرسة الكلامية في المناطق الشرقية من الدولة الإسلامية، حيث يقطن خليطٌ من الفرس والترك والتتر، فرجال المدرسة الكلامية قد عاشوا في بيئات أعجمية، فغلبت على

كتبهم العجمة، ولم يكونوا أُدباء، بل كانوا من الفلاسفة والمتكلمين، وكانت خوارزم أكبر البيئات التي ظهرت فيها أقطاب هذه المدرسة، وأهم كتبها **(دلائل الإعجاز)** لعبد القاهر الجرجاني(ت٤٧٤هـ)، وكتاب **(نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)** لفخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ)، وكتاب **(مفتاح العلوم)** للسكاكي(ت٦٢٦هـ)، و**(تلخيص المفتاح)** و**(الإيضاح)** لخطيب القزويني(ت٧٣٩هـ)، و(عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح) لبهاء الدين السبكي(ت٧٧٣هـ)، و**(المطوّل على التلخيص)**، و**(المختصر)** لسعد الدين التفتازاني(ت٧٩٢هـ)، وغيرها من شروح التلخيص.

ثانياً: المدرسة الأدبية

كان القران الكريم من أهم العوامل التي طبعت بحوث البلاغة بطابع أدبيٍ يعتمد على الذوق الرفيع قبل اعتماده على التحديد والتقسيم، وكان للكتاب والشعراء أثرٌ واضحٌ في البلاغة، فقد صبغوا كثيراً من موضوعاتها بصبغة أدبية، لما امتازوا به من أدبٍ غزيرٍ وذوقٍ سليم، وكانت نتيجة تلك العوامل أن اتجهت البلاغة منذ عهدٍ مبكرٍ اتجاهاً أدبياً، وسلك طريقاً بعيداً عن المدرسة الكلامية، وكانت لها خصائص واضحة تميزها عن المدرسة الأخرى، ومن ذلك أنها:

١- لم تهتم كثيراً بالتحديد والتقسيم، وإن جنحت الى ذلك فعلى غير تعمُّقٍ ونفاذ.

٢- التزام التصحيح التام للوصول المنطقية.

٣- لم تهتم باقتباس المنطقيات ومسائل الفلسفة، بل نبذتها وحملت عليها وحاربتها، وكان ابن الأثير أحد أقطابها من الذين أنكروا إدخال الأساليب الفلسفية في البحث، قال:(اعلم أن ذلك الحصر كلي لا جزئي، ومحال أن تحصر جزئيات المعاني وما يتفرع عليها من التفريعات التي لا نهاية لها، لا جرم أنَّ ذلك الحصر لا يستفيد بمعرفته صاحب هذا العلم ولا يفتقر إليه، فإنَّ البدوي البادي راعي الابل ما كان يمر شيء من ذلك بفهمه ولا يخطر بباله، ومع هذا فإنّه يأتي بالسحر الحلال، إن قال شعراً أو تكلم نثراً).

٤- استعمال المقاييس الفنية في الحكم على الأدب، ولذلك نجدها مرة تستطيع التعليل، ومرةً لا تستطيع ذلك وترجعه الى الذوق والإحساس الفني.

٥- أُسلوب كتبها سهلٌ لا يحتاج الى عناءٍ كبيرٍ في فهمه كما يحتاج في قراءة كتب المدرسة الأُخرى، وسبب ذلك أن معظم رجالها عاشوا في بيئات عربية كالعراق والشام ومصر، وكانوا إلى جانب ذلك شعراء وكتّاباً.

٦- أسرف رجال المدرسة الأدبية في ذكر الشواهد والأمثلة، وكانوا يذكرون القاعدة، أو التعريف، ثم يأتون بالأمثلة الكثيرة، ولم تكن الأمثلة مقصورةً على الجملة أو بيت الشعر، وإنما تعدتها الى القطعة النثرية والرسالة الأدبية، ويتضح هذا في جميع كتب المدرسة، فابن المعتز مثلاً يذكر تعريف الاستعارة أو التجنيس، ويورد بعد ذلك أمثله كثيرة، ويفرق بين الحسن والرديء،

وتبعه البلاغيون الآخرون في هذا المنهج كأبي هلال العسكري، وابن رشيق، وابن الاثير، وابن أبي الاصبع المصري وغيرهم في كتبهم التي سيأتي ذكرها.

وقد سادت هذه المدرسة في المناطق الوسطى من العالم الإسلامي كالعراق والشام ومصر وشمال أفريقيا، وأهم كتبها التي تضمنت خصائصها كتاب (البديع) لابن المعتز، وكتاب (الصناعتين) أبي هلال العسكري، و(العمدة) لابن رشيق، و(سرّ الفصاحة) لابن سنان الخفاجي، و(أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني، و(البديع في نقد الشعر) لابن منقذ، و(المثل السائر) و(الجامع الكبير) لابن الاثير، و(بديع القرآن) و(تحرير التحبير) لابن أبي الاصبع.

هاتان هما المدرستان البلاغيتان وقد كانت لكلّ واحدةٍ منهما خصائص عامة، ولكن هل يمكن وضع فاصلٍ بين الذين اتجهوا اتجاهاً عقلياً والذين نهجوا نهجاً أدبياً؟ ليس من الممكن ذلك لأن البلاغي الواحد كثيراً ما يمزج بين الطريقتين ويستفيد من الاتجاهين، فالجاحظ مثلاً وهو رأس فرقة اعتزالية–سميت الجاحظية–نراه يميل الى الفن ويحكم الذوق في كثيرٍ من الأحيان، وأبو هلال العسكري مع تأكيده أنّه لن يتبع طريقة المتكلمين نراه يتجه نحوه في تقسيماته وتبويبه ويجري في مضمارهم ويخدم أغراضهم، وكان عبد القاهر الجرجاني يميل مرةً الى المدرسة الكلامية في كتابه (دلائل الإعجاز)، ويتجه الى المدرسة الأدبية في كتابه(أسرار البلاغة)، وهو في كتابه الأول يجادل جدلاً منطقياً فيكرر أساليب أهل الجدل كقوله:(إن كنتم قلنا...)، و(كيف لا يكون الأمر كذلك...)، و(ما هو إلا كذا وكذا...)، وهو في كتابه الثاني أديبٌ يعمد الى التحليل الفني وإبراز ما في الكلام من بلاغة وجمال؛ لأنّه لا يريد أن يدافع دفاعاً عقلياً، كما يدافع عن القرآن في كتابه (دلائل الإعجاز)، وممن جمعوا بين الطريقتين في كتاب واحد: يحيى بن حمد العلوي(ت٧٤٩هـ) صاحب كتاب(الطراز المتضمن بأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز) فهو في القسم الأول منه يسير على منهجٍ أدبيٍ واضح فيه التحليل والإكثار من الأمثلة، وهو في القسم الثاني من الكتاب يتبع طريقة المدرسة الكلامية في تصنيف موضوعات البلاغة وعرضها، وفي الجدل وتقديم الأدلة، وقد يكون سبب ذلك أنه في هذا القسم تعرض لإعجاز القرآن، وهو مما يدفع الباحث الى النظر العقلي ورد الشبهات بالأدلة والبراهين، هذا ما كان من أمر البلاغة العربية قديماً، أما اليوم فإن المنهج الحديث يتطلب الاستفادة مما سبق لبناء بلاغةٍ جديدةٍ تعتمد على ذوق العصر وتستند الى ما ظهر من أدبٍ وفنون.